نظام دفع أفريقي بديلا عن الدولار PAPSS

ياسر فنري
ماجستير إدارة مالية - مدير مالي

تعتمد الولايات المتحدة على الطلب على الدولار لدعم الاقتراض والإنفاق، وباعتبار الدولار العملة الاحتياطية العالمية، فإن ذلك يدفع البلدان في أنحاء العالم إلى تخزين الدولار، وتعزيز احتياطياتها من خلال شراء سندات الخزانة الأمريكية. إلا أن استخدام الولايات المتحدة للدولار كسلاح في السياسة الخارجية والارتفاع الأخير في سقف الديون الأمريكية ذكّر العالم بمدى هشاشة الثقة والحذر في التعامل مع العملة الأمريكية.

يشير هوفمان إلى أنه: على رغم تمتع الدولار الأميركي بقوة أكثر بكثير من أي بديل آخر، إلا أن الإخفاقات المصرفية الأخيرة وعدم اليقين في شأن الاقتصاد الكلي وعدم الاستقرار الجيوسياسي أظهرت أنه يتعين علينا أن نتحلى بالذكاء[1]. وهذا ما تذكيه بيانات "سويفت" (جمعية الاتصالات المالية العالمية بين البنوك) بزيادة حصة الرنمينبي (اليوان) الصيني المستخدمة في تمويل التجارة، بأكثر من الضعف لتصل إلى ٤.٥٪ منذ اندلاع الحرب في فبراير (شباط) ٢٠٢٢ بين روسيا وأوكرانيا، وتلقي بريكس لطلبات من ٢٥ دولة للانضمام إلى الكتلة؛ وهي أفغانستان والجزائر والأرجنتين والبحرين وبنغلاديش وبيلاروسيا ومصر وإندونيسيا وإيران وكازاخستان والمكسيك ونيكاراغوا ونيجيريا وباكستان والمملكة العربية السعودية والسنغال والسودان وسوريا والولايات المتحدة، والإمارات وتايلند وتونس وتركيا وأوروغواي وفنزويلا وزيمبابوي[2]، وبالتدقيق ففيهم أهم مصدري النفط في العالم ومنها الولايات المتحدة نفسها!!

إلا أن الأمريكيين لازالوا يؤمنون بأن الدولار هو العملة الدولية التي يقوم عليها نظام سعر الصرف منذ حوالى ٨٠ عاماً، نابعاً من اتفاق "بريتون وودز" عام ١٩٤٤، ووفقاً لمجلس الاحتياطي الفيدرالي.

[1] هل نرى بديلا للدولار في المعاملات التجارية قريبا؟ رابط، 22/06/2023
[2] من إفريقيا للعالم العربي الكل يبحث عن بديل.. فهل يؤدي انضمام دول الخليج للبريكس لضربة قاصمة للدولار؟ رابط 22/06/2023

لقد شكل الدولار الأميركي في الفترة بين ١٩٩٩ إلى ٢٠١٩ حوالى ٩٦٪ من الفواتير التجارية في الأميركيتين، و ٧٤٪ في منطقة آسيا والمحيط الهادئ و ٧٩٪ في بقية العالم، والاستثناء الوحيد كان في أوروبا، إذ يعد اليورو العملة الأساسية للفواتير، بالنظر إلى التجارة المتكررة بين شركاء الاتحاد الأوروبي، وأفادت جمعية الاتصالات المالية العالمية بين البنوك "سويفت" بأن الدولار الأميركي كان العملة الأكثر استخداماً في نظام الدفع العالمي، إذ يمثل ٤١.٧٪ من المدفوعات، يليه اليورو، بالمقارنة مع ٢.٤٪ للرنمينبي الصيني على رغم مما تمثله بكين في هيكل التجارة العالمية. إلا أن أصوات الاقتصاديين تنبه لغير ذلك على الأقل على مدى عشر السنوات القادمة وما بعد، فيتحدث كبير الاقتصاديين في شركة "مارينر ويلث أدفايزرز" ويليام غرينر عن انحسار نفوذ العملة الأميركية خلال الأعوام الماضية وحصتها في السوق من الأرصدة الاحتياطية لدى البنوك المركزية، ويقول: إن الدولار يمثل حالياً نحو ٥٨٪ من الاحتياطات الدولية، انخفاضاً من ٦٩٪ عام ٢٠١٤ و ٧٥٪ عام ٢٠٠٠، وأن هناك تمرداً متصاعداً في دوائر البنوك المركزية ضد الدولار، في الاقتصادات الناشئة، إذ حولت الولايات المتحدة العقوبات الاقتصادية والمالية كأسلحة ضد خصومها الاقتصاديين أو السياسيين، فما الذي يغير في كل ما سبق في هذه الخطوة الافريقية؟

اقترح الرئيس الكيني ويليام ساموي روتو خلال كلمة ألقاها أمام برلمان جيبوتي أن تتخلى الدول الأفريقية عن استخدام الدولار في التجارة العابرة للقارات. مشيراً إلى أن بنك التصدير والاستيراد الأفريقي (أفريكسيم بنك) يوفر آلية للتجار في القارة لإجراء معاملات تجارية باستخدام العملات المحلية، وذكر أن كينيا تدعم استخدام نظام الدفع والتسوية لعموم أفريقيا الذي يديره البنك، والذي من شأنه أن يجعل من الممكن الاستغناء عن الدولار على نطاق قاري[1]. هذه الدعوة تنضم إلى مطالب دول البريكس بإلغاء الدولار، وإعادة التوازن للنظام العالمي خلال المحادثات التي جرت في جنوب إفريقيا،و أكد على ذلك وزير الخارجية الهندي سوبراهمانيام جايشانكار بقوله: "يجب أن يرسل اجتماعنا رسالة قوية، وهي أن: العالم متعدد الأقطاب، ويعيد التوازن والطرق القديمة لا يمكنها الاستجابة للمواقف الجديدة"، وسبق هذا كله إعلان الصين والبرازيل عن اتفاقية تجارية بعملتيهما، وأبرمت الصين اتفاقيات تجارة خالية من الدولار مع روسيا وباكستان والمملكة العربية السعودية. الآن يترقب الجميع قمة البريكس التي ستعقد في أغسطس،

[1] تزايد دعوات التخلي عن الدولار كاحتياطي دولي..الاتجاه نحو انهيار كارثي؟ رابط، 22/06/2023

ممثلة (البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب إفريقيا) حوالي ٤٠٪ من سكان الكوكب وربع الناتج المحلي الإجمالي العالمي .

ألقت كلمة للسيد كيفن تشيكا أوراما من مجموعة بنك التنمية الأفريقي[1] في ١٣ ديسمبر ٢٠٢٢ في واشنطن، الضوء على بعض الحقائق حيث تُعد أفريقيا موطنًا لأكثر من ١.٤ مليار شخص، ما يمثل ١٦.٧٢٪ من سكان العالم. وتُشير التقديرات أنه سيرتفع إلى ٢.٢ مليار شخص عام ٢٠٥٠، متوسط أعمارهم ١٩.٧ سنة وأكثر من ٤٠٠ مليون أعمارهم بين ١٥ و ٣٥ عامًا، وبحلول عام ٢٠٣٠، ستشكل إفريقيا ٤٢٪ من سكان العالم من الشباب. كما تمتلك أفريقيا ٦٥٪ من الأراضي الصالحة للزراعة وغير المزروعة حالياً ويقدر حجم الناتج المحلي الإجمالي بنحو ٣.٣ تريليون دولار، وغير ذلك الكثير من المعادن المهمة للصناعات المستقبلية، جميع التحركات السابقة بدأت بإعطاء المزيد من الزخم لنظام المدفوعات الخاص بعموم إفريقيا، المعروف باسم "PAPSS" والذي من شأنه أن يسمح للدول الأفريقية بالتداول والتحويل فيما بينها بحوالي ٤٢ عملة، باستخدام عملاتها الخاصة. الممول من قبل بنك التصدير والاستيراد الأفريقي "أفريكسيم بنك" والذي يخصص ٣ مليارات دولار لتصفية التداولات آملاً أن مركز التسوية الصافي بعد المقاصة يجب أن يتحول إلى الصفر، حتى لا تكون هناك حاجة لدفع أي دولار لأي شخص فيما بعد، وتسعى مبادرات مثل "PAPSS" واتفاقية التجارة الحرة القارية الأفريقية، والتي من شأنها إنشاء أكبر منطقة تجارة حرة في العالم من حيث المساحة، إلى تعزيز التجارة الداخلية عن طريق تقليل الحواجز، بما في ذلك الحاجة إلى وسطاء مثل الدولار الأميركي وأن تنضم ١٥ إلى ٢٠ دولة إلى نظام الدفع والتسوية الأفريقي بحلول نهاية العام، حسبما قال رئيس البنك بنديكت أوراما في مقابلة قبل الاجتماعات السنوية للبنك في أكرا، عاصمة غانا، وقد بدأت المنصة عملياتها التجارية مع ٩ دول وقعت حتى الآن .

حالياً يتفق معظم الاقتصاديين على أن نهاية هيمنة الدولار ليست وشيكة، حيث لا يوجد بديل قابل للتطبيق، على المدى القصير إلا أن التآكل التدريجي للطلب على الدولار، سيعني تآكلاً تدريجيًا إلى حد ما لقيمة الدولار، مما يؤدي إلى ارتفاع في التضخم إلى مستويات قياسية وعلى الأخص في الاقتصادات الناشئة، مما قد يؤدي إلى حلقة مفرغة تعجل بانهيار كارثي للدولار الأمريكي .

[1] الكلمة الرئيسة للسيد كيفن تشيكا أوراما القائم بأعمال كبير الاقتصاديين ونائب الرئيس للحوكمة الاقتصادية وإدارة المعرفة مجموعة بنك التنمية الأفريقي رابط ، ، 22/06/2023

ولكن هلا دققنا أكثر فيما سبق، بحلول عام ٢٠٣٠، ستشكل إفريقيا ٤٢٪ من سكان العالم الشباب ومجموعة دول بريكس حوالي ٤٠٪ من سكان العالم كما أن هذه النزعة ستشمل أكثر من ٨٢٪ من سكان الأرض وأكثر من ٨٥٪ من مساحة الأرض (لأن القارة الأمريكية تمثل ٨٪ فقط من مساحة الكرة الأرضية) على افتراض ترابط المصالح الأمريكية والاوربية وبعض الدول في العالم، إلا أنه حتى الحلفاء بدؤوا في التململ من السياسات الأمريكية مثل فرنسا، حتما العقد القادم سيشهد تغيراً في مراكز القوى وعلى ما يبدو سيكون بداية نهاية الدولار الذي نعرفه. ليحتفظ العم سام بدولاراته على أرضه وفي جيبه.